العدد السابع والثلاثون
تاريخ الإصدار: 2 – تشرين الثاني – 2021 م
www.ajsp.net
ISSN: 2663-5798

"الاغترابُ والتّغريبُ في الرّواية العربيَّة من منظورِ ما بعد الاستعمار(الروايةُ القطريّة أنموذجًا)"

إعداد الباحثة:

روضة علي الحمادي

جامعة قطر – كلية الآداب والعلوم، قسم اللغة العربية.

العدد السابع والثلاثون
تاريخ الإصدار: 2 – تشرين الثاني – 2021 م
www.ajsp.net
ISSN: 2663-5798

ملخص البحث:

يسعى البحثُ إلى دراسةِ الرّواية العربيّة من منظورٍ نقديّ جديد، وهو منظور ما بعد الاستعمار، وتحديدًا من خلال قضيّة الاغتراب والتّغريب اللذان يُعدّان نتيجة مُباشرة للهيمنة الاستعماريَّة. ويُمثِّلان استعمارًا ثقافيًّا وفكريًّا أشدَّ خطورةً من الاستعمار التّقليديّ. ويتحرّى البحث كشف أوجه الاستعمار المختلفة وآثاره على الثّقافات المُستعمَرة، وذلك بالاعتمادِ على المنهجِ ما بعدَ الكولونياليّ الذي تعود مرجعيّته النقديّة والتحليليّة إلى مناهجَ بينيَّة مُتعدّدةِ التّخصّصات، ويتميّزُ بالشموليَّة وتبني المقاربات الوصفيَّة والتأويليَّة. وقد خَلَص البحثُ إلى جُملَةٍ من النّتائج، من أبرزها كشف الأيديولوجيّة الكولونياليَّة الخفيَّة والمدعومَة بوسائلَ وأدواتٍ تؤثر في الصّورة التي ننظر بها إلى أنفسنا والآخرين. وبيان تَعدّدُ أشكالِ الكولونياليَّة وأساليبِها وتحوّلها من الاستعمار التقليدي، إلى الاستعمار الناعم الجديد، والمتمثل بالتّغريب كما يظهر من خلال الرواية القطريّة، مِمّا يؤكّدُ أنّ الاستعمار يُغيّر جلده ويتحوّلُ عن أساليبه الصّريحة إلى أساليبَ أشدَّ خفاءً وتأثيرًا لضمانِ تحقيق أهدافه وصون سيادته وهيمنته. إلى جانب التّأكيد على أنّ التّغريبَ استعمار خفي يتغلغل في المُجتمع دون إدراك معظم أفراده، فيسود الاحتذاءَ بالغرب والتطبّعَ بأطباعه واستِعَارةَ ثقافَته في الكثير من مظاهر الحياة كما عبّرت الرواية القطريّة عن ذلك. ومِن أشكال التّغريب التي عبّرت عنها الروايةُ القطريَّة: تغريب التّعليم والثقافة والمُعتقَد، والتّغريبُ اللغويّ، وتغريبُ الهُويَّة.

الكلمات المفتاحية: نظرية ما بعد الاستعمار، ما بعد الكولونيالية، النقد الثقافي، الاغتراب، التغريب، الاستعمار الثقافي.

مقدمةُ البحثِ:

تُشكِّل نظريّة ما بعد الاستعمار أو ما بعد الكولونيالية حقلًا مركزيًّا من حقول النَّقد الثقافيّ أو الدّراسات الثّقافيَّة متعدّدة الفروع، فهي من أحدث النظريّات الحديثَة في السّاحة النّقديَّة الأدبيّة والثّقافيّة. تسعى إلى دراسة الآثار الثقافيَّة والاجتماعيَّة والاقتصاديَّة التي خلّفَها الاستعمار –بأنواعه– على الشعوب المُستعمَرة. ويُميّزُ هذه النظريَّة تقاطُعها مع حقول معرفيَّة عديدة مِن أهمّها العلوم السياسيَّة، وعلم الاجتماع، وعلم النّفس والتّحليل النّفسيّ، والفلسفة، والتّاريخ، ونظريَّات الاتصال. وتُركّزُ النظريَّة على تبعات الاستعمار وآثاره على المجتمعات، والثّقافات، والأُمم، واللغات.

وتطرحُ نظريَّة ما بعد الاستعمار –الكولونياليّة– عدة قضايا وموضوعات للدرس والنّقد والمعالجة والتّأويل، من أهمّها قضايا الاغتراب والتّغريب التي تُعدّ من القضايا الجوهريَّة في النظريَّة، وعليه لابدّ عند دراسة ما بعد الاستعمار من الوقوف عند مفهوم الاغتراب، وما ينتج عنه من تغريبٍ كنتيجة مُباشرة للهيمنة الاستعماريَّة. ثم دراسة آثارها على المجتمعات والثقافات المُعرّضة للاستعمار الثقافيّ والفكري. ويُؤكّد المُنظّرون أنّ الاغتراب مفهومٌ يحمل في طيّاته الغُموض؛ لأنّه غير مشروطٍ بمكان أو زمان أو حدث معيّن، فنجدُ الاغتراب في القُرى الصغيرة، وفي المدن الكبيرة، وفي الحضارات القديمة أيضًا كما في المُجتمعات الحديثة، فالاغتراب "ليس مشكلةً تولّدَت بِسبب الرَّأسماليّة أو الاقتِصَاد الماركسيّ أو التنظيمات الاجتماعيَّة، ولكن هو مُشكلة دائِمَة تُواجِه كلّ النَّاس تَقرِيبًا" (أيزابرجر، 2003).

مشكلة البحث:

إنّ جَوهر نظريّة ما بعد الاستعمار مُتّصلٌ اتصالاً متينًا بمسألة الاغتراب والتّغريب، فأحد هواجس هذه النظريّة رفض هيمنة فكر الغرب ومعارفه، وإضفاء الطابع الإقليمي على أوروبا وإزالة الطابع الكوني عنها، أيْ إعادة إعطاء مَكَانةٍ لتاريخ البلدان المُستعمَرَة وثقافتها الخاصّة بها. ويُشكّل التّغريب استعمارًا ثقافيًّا وفكريًّا أشدَّ خطورةً من الاستعمار التّقليديّ والذي بات ينعكس على أوجه الحياة المختلفة، والمشكلة الأكبر أنّه يتمّ عادةً دون إدراك المُستعمَر الذي تُفرض عليه ثقافة المُستعمِر مما يتطلّب دراسة وتحليلا للجوانب الخفية والمضمرة من الثقافة.

فرضيّات البحث:

ينطلقُ هذا البحث من فرضيَّةٍ مَفَادها أنّ التَّجربةَ الروائيَّة التي تُعدُّ انعِكاساً للواقعِ والمُجْتَمَع، ولفكرِ أَفْرَاده وثقافَتِهم، تكشفُ قَضَايا ما بعد الاستعمار، تحديدًا القضايا الدّاخلة في صميمِ المُجتمع والمُتمثّلة في التّغريب والاغتراب. وأنّ التّغريب تغلغل في المجتمعات العربيَّة واتّخذ أشكالاً عديدة وأثّر في مختلف تفاصيل الحياة اليومية.

أهدافُ البحث:

يتحرَّى البحثُ تحقيقَ جملةٍ من الأهدافِ الرَّئيسة، من أبرزها:

1- كشفُ أوجه وأشكال الاستعمار المختلفة، وآثاره في الثّقافات المُستعمَرة.
2- كشف وتحليل أوجهِ الاغتراب والتّغريب وآثارهما في المجتمع العربيّ الخليجيّ من خلال نموذج الرواية القطريَّة.

3- الإسهام في تطوير الدراسات النّقدية العربيّة في مجال نظريَّة ما بعد الكولونياليَّة التي ما زالت تفتقرُ إلى الدّراسات التطبيقيَّة نظرًا لحداثتها.

الدراسات السّابقة:

لا نَعدم وجودَ دراساتٍ سابقة عكفت على دراسةِ الرواية العربيّة من منظورٍ ما بعد الاستعمار، إلا أنّها قليلة، ولم أقفْ إلى حد كتابة هذه السطور على أيّ دراسة اعتنت بالتّغريب والاغتراب من منظور ما بعد الاستعمار وطَبّقَت النظريَّة على الرّواية الخليجيّة.

من الدراسات العربيَّة التي طبّقت نظرية ما بعد الاستعمار على الرواية العربيَّة رسالة ماجستير بعنوان (المؤثر الاستعماريّ في الرواية الجزائريَّة، رواية الأمير –مسالك أبواب الحديد– لواسيني الأعرج أنموذجاً – 2015) لفتيحة أوبشو ونسيمة طيبي، ركّزت الرسالةُ على بعض الجوانب التي يهتمّ بها بحثي، منها تأثير الاستعمار في الهُويّة، وما يرتبطُ بها من مفاهيمَ مثلِ التّعدُّديَّة والانفتاح الثّقافي، إضافةً إلى دراسة أثر الاستعمار في اللغةِ وطُرق توظيفها لدى العالم ما بعد الكولونياليّ وفقًا لرواية الكاتب الجزائريّ واسيني الأعرج.

ودراسة موسومة بـ(تشكّل الهُويّة في ظل المواجهة الكولونياليَّة – 2018) لمحمد بو عزّة، تتناول تمثيل الهُويّة في رواية أبواب الفجر للكاتب المغربيّ مصطفى الورياغلي من منظور سيميائيّ ما بعد كولونياليّ، وخَلَص فيها الباحث إلى أنّ الهُويَّة السّرديَّة للشخصيَّات

تتشكّل في سياقِ العنف الكولونياليّ، وأنّ الرّوايةَ تعتمدُ منظورَ ما بعد الاستعمار في استراتيجيَّة التّمثيلِ الثقافيّ لصور الذّاتِ والتّاريخ والهُويّة. وَأفدتُ منها فيما يتعلّق بإشكاليَّات الهُويَّة في نظريّة ما بعد الاستعمار، ولكنها بعيدة عن مجال البحث كونها تعتمدُ على منظورٍ سيميائيّ.

وكذلك دراسةٌ بعنوان (تمثّلات الكولونياليَّة الجديدة في رواية حكاية العربي الأخير– 2018) لعبد القادر فيدوح، اختار فيها دراسةَ تمثّلات الكولونياليَّة الجديدة من خلال رواية حكاية العربيّ الأخير للكاتب الجزائري واسيني الأعرج، تدور فكرتُها حول مآل العرب وانحدارهم الذي كان سببه الأزمات والصراعات الدوليَّة.

إلى جانب دراسة أخرى موسومة بـ(الأنا والآخر في ضوء الكتابات ما بعد الكولونياليّة–كتابات محمّد ديب الرّوائيّة أنموذجا – 2018) لمريم بوزردة، تهدفُ إلى مُعالجة قضايا مركزيّة في ما بعد الاستعمار، منها تجليات الخطاب الاستعماري، ورفض الاستِلاب، وثنائيَّة (الشَّرق/ الجنوب، الغرب/ الشّمال)، وجدليّة الأنا والآخر والصّراع القائم بينهما، وَأفدتُ منها في هذا الجانب الأخير لارتباطه بمسألة الاغتراب والتّغريب.

أهميّة البحث:

تعودُ أهميّة البحثِ لحداثة نظريَّة ما بعد الاستعمار التي تبلورت أُطرُها المعرفيَّة والمنهجيَّة في أواخر الثمانينيّات، وتحقّقَ نُضجُها واستِقرارُها في بداية التسعينيّات، وعَلَيه فالموضوع فيه جدّة، وهو ما يضيف إليه أهميَّة خاصَّة. وكذلك حاجة المكتبة العربيَّة النقديَّة إلى دراسات تنتمي إلى هذا الحقلِ المعرفيّ الحديث (حقل دراسات ما بعد الاستعمار).

وقَد ارتحلْتُ في هذا البحثِ مُتنقّلَةً بين مُختلفِ الحقولِ المعرفيَّة، فبَحثتُ إلى جانبِ الأَدبِ في التَّاريخ، والسّياسة، والفَلسَفة، وعلم الاجتماع، ليَخرج هذا البحثُ مُنتَمِيًا إلى الدّراسات البينيَّة التي باتت تشكل مستقبل البحث العلميّ الأكاديمي.

مَنْهَجِيَّةُ البَحْثِ:

يعتمدُ البحث على المنهجِ ما بعدَ الكولونياليّ، الذي تعود مرجعيّته النقديّة والتحليليّة إلى مناهج بينيَّة مُتعدّدة التَّخصصات. ويتميّزُ باعتماده على المقاربات الوصفيَّة والتأويليَّة، واتّسامِه بالشموليَّة، والقدرة على منحِ النّص الحريَّة للحركةِ والتَّجديد وإعادة القراءة والإنتاج. فالمنهجُ المُنتقَى يعطي مساحةً واسِعَةً لإعادةِ النّظر في الكثير من المُسَلّمَات والبَدَهِيَّات، ويَفْتَحُ البابَ للاستفَادةِ مِنْ عُلُومٍ ومُقَارَبَات مُخْتَلِفة، ويُحَلِّل التَّمثُلات المُضْمَرَةَ في النّصوصِ، ويَكْشِفُ آثَارَها في الذّات البشريّة والمجتمعات الإنسانيَّة، لاسيما أنَّ المنهجَ قد خرج من عباءَةِ النَّقد الثَّقافيّ الذي يُعدّ امتداداً لنقد ما بعد الحداثةِ الذي تجاوزَ النظريَّات التي تُعنى بالأدب بوصفهِ ظاهرةً لسانيَّة بحتة، أو جماليَّةً شعريَّة فحسب، واستهدف بناءَ بديلٍ منهجيّ جديد يهتمُّ بدراسةِ النَّص في سياقاته الثّقافيَّة والتّاريخيَّة والاجتماعيَّة والسياسيَّة.

العدد السابع والثلاثون
تاريخ الإصدار: 2 – تشرين الثاني – 2021 م
www.ajsp.net
ISSN: 2663-5798

حدود البحث:

عكَفتُ بعد اختيار موضوع البحث على قراءةِ معظمِ الإنتاج الروائيّ القطريّ الذي وَقَع بين يديّ وتحديدِ القضايا الواردة فيه، وذلك منذُ مرحلةِ البدايات مع الأختين (دلال وشُعاع خليفة) عام 1993، وحتّى الوقت الرّاهن (2020)؛ بغرض تحديد الروايات الدَّاخلة في المتن السرديّ للبحث، فكَان منها الآتي:

– روايات أحمد عبد الملك (أحضانُ المَنافي – 2005)، (القُنبلة – 2006)، (فازع شهيدُ الإصلاحِ في الخليج – 2009)، (الأَقنِعة – 2011)، (انكِسار – 2019)، (ميهُود والجنيَّة – 2019).

– رواية (العريضة – 2011) لنورة آل سعد، ورواية (أشجار البراري البعيدة – 1994) لدلال خليفة، ورواية (تداعي الفصول – 2007) لمريم آل سعد.

– الإطار النظري والمفاهيمي

– الاغترابُ في الثقافة الغربيَّة:

يمكن عدّ هيغل أوّل من استعمل في فلسفته مصطلح الاغتراب استخدامًا منهجيًّا، وأضفى على هذا المصطلح طابعًا معرفيًّا علميًّا، واستعمله في مُعظم مُؤلّفاته، فتحوَّل الاغتراب على يديه من مجرد إشكال يعانيه الإنسانُ في عصور الأزمة والقلق، أو مجرّد فكرة ترنق في أذهان بعض المفكرين، إلى مصطلح فني ومفهوم دقيق يطلق عن قصد، والاغتراب عند هيغل في بداياته كان يشيرُ في أغلب المواضع إلى معاني فقدان الحريَّة والتلقائيَّة والحيويَّة، وأي معنى سلبيّ يتعارض مع الحريَّة ويحول دون أن يكون الإنسانُ متناغمًا مع نفسه ومع الآخرين من حوله. (رجب،1988)

إنّ الاغترابَ لدى هيغل ناجمٌ عن التّناقضات بين الوعي والوجود؛ بسبب اضطرار الإنسان إلى قَبول مصيره التّاريخيّ والاجتماعيّ والسّياسيّ الذي يُفرض عليه، ومن هذا المُنطلق يُعرّف هيغل الاغتراب أنَّه "حالة اللا قدرة أو العجز التي يُعانيها الإنسان عندما يفقدُ سيطرته على منتجاته وممتلكاته، فتُوظّف لصالح غيره بدل أَن يسطو عليها لصالحه الخاص، وبهذا يفقدُ الفرد القدرة على تقرير مصيره والتّأثير في مجرى الأحداث بما فيها تلك التي تهمه وتسهم بتحقيق ذاته وطموحاته". (بركات،2016)

ثُم جاء كارل مَاركس (Karl Marx : 1818–1883) لينقل مفهوم الاغتراب –متأثراً بهيغل وفيورباخ– من المفهوم الفلسفيّ إلى الاجتماعيّ والاقتصاديّ، ويظهرُ ذلك في عدد من مُؤلّفاته التي بلور فيها أسس مفهومه الجديد للاغتراب، إذ يرى ماركس أنّ الاغتراب حالة عامّة في المجتمعات الرأسماليّة التي حوَّلت العامل إلى كائن عاجز وسِلعة بعد أَنْ اكتسبت مُنتجاته قُوّة مستقلّةً عنه، ومُعاديَة له.

ويُعدّ الاغتراب (Alienation) مفهومًا رئيسًا في الماركسيَّة، وكلمةُ غريب (alien) هي جذر المصطلح، والغريب هو شخصٌ لا يرتبط بأي صلات بالآخرين أو بما حوله. ويعتقدُ ماركس أنّ الرأسماليّة تُولّد الاغتراب في كلّ قطاعات المُجتمع، فحتّى الأغنياء وهم أصحاب القوّة الحاكمة الذين يمتلكون أدوات الإنتاج ينأونَ بأنفسهم عن الفقراء في المُجتمع البروليتاري، والفقراء أيضًا ضحايا للاغتراب؛

فهم يغتربون عن عملهم وتجربتهم وعَن نفوسهم التي تصبح مُجرّد سلع فحسب، ويُعانون على نحو شديد الوطأة نفسيًّا وجسديًّا (أيزبرجر، 2003).

ويُمكن تقسيم الاغتراب لدى ماركس إلى أربعة أقسامٍ رئيسة: (بركات، 2016)

أ- اغتراب العامل في علاقته بِمُنتجاتِه، فهو يعمل من أجل غيره لا من أجل نفسه ويخدم الآخرين ويعمل لمصلحتهم لا مصلحته، والعلاقة بين الاغتراب والإنتاج طرديّة، فكُلما فقد الإنسان القُوّة والسُلطة على ما يُنتجه، زاد اغترابه الدّاخلي.

ب- اغتراب العامل عن عمله نفسه، فالعامل لا يشعر بالرضا تجاه عمله، بل على النّقيض من ذلك يسبب له هذا العمل التّعاسة؛ لأنّه اضطراريّ لا اختياريّ فيفقدُ قدرته على الاختيار وتحديد المصير.

ج- اغترابُ العامل عن الطبيعة نفسها، ذلك أنّه يستغلّها ويُحولها إلى وسيلة لسدّ حاجاته الماديَّة.

د- اغترابُ الإنسانِ في علاقتهِ مع الآخر، لأنّ كل اغتراب من وجهة نظره يتجسَّد في علاقات الاضطهاد والتسلّط والاستغلال مع الآخرين في العالم الواقعي الحقيقي، فالعلاقاتُ الإنسانيّة تصبح علاقاتٍ استهلاكيَّةً قائمة على المصالح، وارتباطُ النّاس بعضهم ببعض يصبح مرتبطًا بالمصالح المتبادلة.

وقد مهّد ماركس في حديثه عن الاغتراب لظهور فكرة التّشيّؤ (Reification) التي عُنيت بها نظريّة ما بعد الاستعمار، حيث تصبح كلّ العلاقات الإنسانيَّة مجرّد أشياء أو مجرّد سلع، بل يصبح الإنسان في ذاته سلعةً أو شيئاً (Subject).

ويستهلّ جان جاك روسو (Jean-Jacques Rousseau: 1712-1778) كِتابه (العقد الاجتماعيّ) بقوله: "إنّ الإنسان وُلِد حُراً، ولكنّه مكُبّل بالأصفاد مُقيّد في كلّ مَكان" (روسو، 2012). ويُصنّف الاغتراب إلى اغترابين، اغتراب قسريّ يكتسي ثوباً سياسيًّا: الاستبداد والعبوديّة، واغترابٌ طوعيّ يتمّ لمصلحة الجماعة فيعمده بأسماء كثيرة: تضحية، تنازل، تخلٍّ" (روسو، 2012) والاغتراب عنده قد يكون اقتصاديًّا أو سياسيًّا أو اجتماعيًّا ويعني اغتراب الإنسان عن الإنسان. أو فرديّ يقصد به استلاب الجوهر الإنسانيّ، أي اغتراب الإنسان عن طبيعته الأصليّة.

- **الاغترابُ في الثّقافة العربيَّة والإسلاميَّة:**

يُشيرُ معنى الاغتراب لغويًّا في المعجمات العربيّة إلى: "غَرُب عن وطنه – غرابةً وغُربةً أي ابتعد عنه، وأَغْرَبَ: أتى الغرْب، وصار غريبًا، وارتحل، واغْتَرَبَ أي نزح عن الوطن، وتَغَرَّبَ نَزَحَ عن الوطن" (مجمع اللغة العربية، 2010). وقد حظي مفهومُ الاغتراب بتعدّد أشكاله وصوره باهتمام الفلاسفة والأدباء والمفكرين العرب قديمًا وحديثًا، فمُنذ العصر الجاهلي نظم الشُعراء قصائدهم في وصف الغُربة والاغتراب النفسيّ. ويظهر الاغتراب عن المُجتمع والآخرين في الثقافة العربيَّة جليًّا عند شعراء الصعاليك. ثم تطوّرت أشكال ودوافع الاغتراب بعد ذلك بظهور الاغتراب السياسيّ في العصر الأموي الذي تجلّى في العداء لبني أمية من قبل الأحزاب الأخرى. كما ظهر الاغتراب بسبب الحرمان من المحبوب كما هي الحال مع مجنون ليلى وجميل بثينة، ومع توسّع الخلافة في العصر العبّاسي توسّعت أوجه الاغتراب ودوافعه وبات أكثر حضوراً وتناولًا، فيقول المتنبي (915-965) شاكيًا الاغتراب:

العدد السابع والثلاثون
تاريخ الإصدار: 2 – تشرين الثاني – 2021 م
www.ajsp.net
ISSN: 2663-5798

مَغاني الشِّعبِ طيبًا في المَغاني بِمَنزِلَـةِ الرَّبيـعِ مِنَ الزَمـــانِ

وَلَكِنَّ الفَتى العَرَبِـيَّ فيها غَريـبُ الوَجهِ وَاليَدِ وَاللِسـانِ

ويقول رهين المحبسين –أبو العلاء المعرّي– (973–1057) الذي اعتزل النَّاس حتى وفاته وعاش الاغتراب بأسمى درجاته:

مَنْ عاشَ تِسْعِينَ حَولاً فهْوَ مُغتـرِبٌ قَد زايَلَ الأَهلَ إلا مَعْشراً جُدُدَا

ومن أبرز الفلاسفة والأدباء الذين عالجوا مسألة الاغتراب، أبو حيان التوحيديّ الذي عاش الاغتراب، وكتب باستفاضة رسالة عن الغريب والغُربة في كتابه (الإشارات الإلهيَّة) وصف فيها الاغتراب في الوطن، والاغتراب عن الوطن، والاغتراب عن الذّات، واعتزال الحياة والنّاس والتّوجه إلى الله والتّصوّف. وأشار إلى أنّ الاغتراب عن المجتمع هو أشدّ أنواع الاغتراب قسوةً. وهكذا فقد ظلّ مفهوم الاغتراب مُتداولًا قديمًا وحديثًا، شرقًا وغرباً، حتّى اليوم. ويتّضح ممّا سَبق أنّ الاغتراب حالة نفسيّة شعوريّة تلازم الإنسان سواء أكان في وطنه أم بعيدًا عنه؛ فالاغتراب غير مشروط بالغُربة، فهو في جوهره حالة انفصال عن المجتمع المحيط والثّقافة.

- **الاغتراب التَّغريب في نظريَّة ما بعد الكولونياليَّة:**

يُلاحظ تعدد مدلولات ومفاهيم الاغتراب، إذ لا يُوجد إجماع على كُنه الاغتراب ومسبّباته، ويشتركُ كلٌ من الاغترابُ والتَغريب في المفهوم اللغويّ؛ إذ يحملان معاني البُعد والإقصاء. ولكنّ دلالة مُصطلح التغريب تختلفُ عند الانتقال من المفهوم اللغويّ إلى الثقافيّ، ففي الاصطلاح الثقافيّ المُعاصر يُشيرُ التّغريب إلى حالة التعلّق والانبهار والإعجاب بالثّقافة الغربيّة، وتقليدها، وتبنّي قِيمِها ونُظمها وأساليبها، إذ يصبحُ الفرد في المجتمع (العربي/المسلم/الشرقيّ) غربيًا في تفكيره وعاداته وسلوكيّاته وأساليب حياته وتوجّهاته وذوقه العام. وتتعدّد المُصطلحات الدّالة على التّغريب، نحو الاغتراب، والاستلاب، والمَسْخ، والإلحاق الثقافيّ، والغزو الثقافيّ، وغيرها. والتّغريبُ وجهٌ من وجوه استعمار الثّقافة، ونوع من أنواع الأسلحة الفكريَّة.

يقول برنارد لويس (1916 – 2018) إنّ المجتمع الشرقيّ المُسلم قد مرّ بفترات من الخطر الشديد تغلّب عليها واجتازها وتمكّن من الصُّمود أمامَها، ولكنّه تعرّض لمُعضِلتين زعزعتا كِيانَ هذا الشَّرق "أولى هاتين اللطمتين كانت الغزوَ المغوليَّ في أواسط آسيا التي حطّمتْ الخلافةَ القائمةَ وأخضعتْ للمرَّة الأولى منذ عهد النُّبوّة قلبَ العالمِ الإسلاميّ لحُكمٍ غير إسلاميّ، أمّا اللطمةُ الثّانية فهي تأثير الغرب الحديث" (لويس،1978) ومن الجليّ أنّ اللطمة الثَّانية المُتمثّلة بالتّغريب كانت أقسى وأشدّ خطراً من الغزو العسكريّ التقليديّ؛ لأنّ آثاره ماتزال باقية ومستمرَّة حتّى اليوم.

والحديثُ عن أهميَّة مفهوم التّغريب يَدْفَعُ للتساؤل عَن عوامله وأسبابه، وهي في الواقع كثيرة ومُختلفة، ويُمكن تَقْسِيمها إلى عوامل داخليّة وخارجيّة:

العواملُ الدّاخليَّة: هِي التي تتعلَّق بالمُجْتَمع نَفسِه، وقابليّته للاستعمار كما يقول مالِك بن نَبي (1905–1973). وهَذا العَامِل لا يَقلّ خُطورةً عن العوامل الخارجيَّة؛ لأنّه يَكمنُ فِي النُفوس، وهُو المُمهّد الحقيقيُّ للاستعمار السياسيّ والثقافيّ والاقتصاديّ. فالعوامل الداخليَّة المُتمثّلة في "القابليّة للاستعمار" تُضْعِف المجتمع فيقع فريسةً للمُستعمِر سواءً أكان مستعمراً لأرضه أم لثقافته. حيثُ يُقرّ أنّ "الاستعمار ليس من عبَث السّياسيين ولا من أفعالهم، بل هو من النّفس ذاتِها التي تَقبَل ذُلّ الاستعمار وتُمَكّن له في أرضها، وليس ينجو

شعبٌ من الاستعمار وأجنادِه إلا إذا نَجَت نفسهُ من أنْ تتّسعَ لذُلّ المستعمِر، وتخلّصت من تلك الرُّوح التي توهّله للاستعمار" (ابن نبي، 1986).

وقابليّة الاستعمار تدفع المُجتمع لمحاكاة الأنموذج –الغربيّ– الذي يراه الأقوى وينبهر به. وفِكرَةُ الاقْتِداء بِالغَرب وتَبَنّي قيمَه وثقافته ليست فِكرةً حديثة، فتحضرُ عند ابن خلدون في مقدّمته حيثُ عَنون الفصلَ الثالث والعشرين (فِي أَنَّ المَغْلُوب مُولَعٌ أَبَدًا بِالاقتدَاءِ بِالْغَالِبِ فِيْ شِعارِهِ وزيّه ونحلَتِه وَسَائِر أَحْوالِه وعَوائده)، ويَعزو السّببَ في ذَلِك إلى أنَّ "النّفْسَ أَبَداً تعتقدُ الكَمالَ فِيمنْ غَلَبَهَا وانْقَادَت إليه، إمّا لنظره بالكمال بما وقرَ عندها مِنْ تَعْظِيمَه أو لما تُغَالِطُ به مِن أنّ انقيادها ليسَ لغلَبٍ طبيعيّ، إنّمَا هو لِكَمَال الغَالِب، فإذا غَالَطَت بذلِك واتَّصَلَ لها اعتقادًا فانتَحلَتْ جميع مذاهب الغالب وتشبَّهَت بِه؛ وذَلِك هُو الاقتِدَاءُ (...) حتّى إنه إذا كانت أُمّةٌ تُجاوِر أخرى ولها الغلَبُ عليها فَيَسْرِي إليهم من هذا التشَبُّه والاقتِداء حظٌّ كَبير (...) فإنَّك تجدهم يتشبّهُون بهم في ملابِسهم وشاراتِهم والكثيرِ من عوائدهم وأحوالهم حتّى في رسم التّماثيلِ في الجدران والمصانعِ والبيوت، حتّى لَقَد يَستَشْعِرُ من ذَلِك النَّاظرُ بعينِ الحكمةِ أنّه مِنْ علاماتِ الاسْتيلَاء، والأَمْرُ لله" (ابن خلدون، د.ت)

فالمَغلوب يتملّكه إحساسٌ بالدُّونيّة يَدفعه للتبعيَّة؛ وذلك لهيمنة الغالب ولإيمانه أنّه صاحبُ السّلطةِ. وتتحوّل هذه التبعيَّةُ إلى عمليّة تقليدٍ ومُحاكاة، والتقليدُ (Mimicry) مصطلح ذو أهميَّة بالغة في نظريّة ما بعد الكولونياليّة؛ لأنّه يصف العلاقة الازدواجيّة بين المستعمِر والمُستعمَر أو المتبوع والتّابع، وذلك عندما يُشجّع الخطاب الكولونياليّ المُستعمَر على أن يُقلّد المستعمِر بتبنّي عاداته الثّقافيَّة وافتراضاته ومُؤسّساته وقيمه، ونتيجةُ هذا التّقليد لن تكون أبداً إعادةَ إنتاج لهذه السّمات، بل ستكونُ النتيجة نسخةً باهتة ومُشوّهة من المُستعمِر. (أشكروفيت، 2003)

وهاتَان الفكرتان مُرتبِطَتان ببعضهما، فالوَلعُ لا يحصلُ مِن المَغلوب تجاه الغالبِ إلا عندما يُؤمِنُ بقُوّته وتفوّقه، ويؤكد مالكُ بنُ نبي هذه الفكرة فقَابليّةُ الاسْتَعمارِ تحصلُ عندما يتحوّلُ الإنسانُ إلى تابعٍ مَسلُوبِ الإرَادة، فَيُعجَب وينبَهر بكلّ ما يُنْتِجه ويُصدّره الغرب (الغالب والمُستَعْمِر) ومِنْ هُنا يُمكن فِهم حالة التّغريب التي يَمرّ بِها المجتمع العربي.

ومن نماذج التّغريب المُتعلّق بالافتتان بالثقافة الغربيَّة المفكر المصري سلامة موسى (1887–1958) الذي يقول في كتابه (اليوم والغد): "أظنّ أنّ الإنجليز –على الرغم من خصومتنا معهم– أرقى أُمّة موجودة الآن في العالم، فعند هؤلاء النّاس جُملةُ صُنوف من الرّقيّ الاجتماعيّ، فحكوماتهم في بلادهم أرقى الحكومات في العالم، ثم انظر إلى نظام العائلة تجد أن ليس في العالم كُتلةٌ بشريّة أكثرُ تماسكًا من هذه العائلة الإنجليزيّة، ويمكنُك تناول سائر الشؤون الاجتماعيّة أو تقابلها بما يُماثلها عند الأمم الأخرى، تجد تفوّق الإنجليز أو على الأقل عدم انحطاطهم عن غيرهم فيها، وهم أكثر الدول رياضةً واستحماما وتنزهًا، وأكثر الأمم سياحة وضربًا في الأرض، ونجد في الإنجليزيّ ميلَه الدائمَ إلى الاعتدال والبُعد عن الغلو والإسراف" (موسى، 2017).

وقد وصل به التغريب والافتتان بالغرب إلى حدّ كُره الشّرق وكلّ ما يتّصل به، يقول في الكتاب عينه: "يجب علينا أن نخرج من آسيا وأن نلحق بأوروبا، فإني كلما ازدادت معرفتي بالشّرق زادت كراهيّتي له، وشعوري بأنّه غريبٌ عنّي. وكلما زادت معرفتي بأوروبا زاد حبّي لها وتعلُّقي بها، وزادَ شعوري بأنّها مِنّي وأنا منها" (موسى، 2017)

العدد السابع والثلاثون
تاريخ الإصدار: 2 – تشرين الثاني – 2021 م
www.ajsp.net
ISSN: 2663-5798

أمّا العواملُ الخَارِجيّة للتغريب فتتمثّل في الاستِعْمار بِنَوعيه: التقليديّ (العسكري)، والحديث (الثقافيّ) الذي غَرَّب الأفراد والجماعات العربيّة والشرقيّة إما بِالقُوّة والإخْضَاع، أو بالإغْراء والإعْجَاب. إضافةً إلى العَولمةَ، والتبعيّة، والانفتاح على الثقافة الغربيَّة والاحتكاك بها وبحضارتها، إما بالاحتلال العسكريّ أَو مِن خلال البعثات العلميّة للغرب، أو توافد الغربيين على البلدان العربيّة. فعلاقة العرب مع الغرب بصورة عامّة "قامت منذ البداية على أسس مُختلفة، أسس غير متكافئة، وذلك لعدم تكافؤ القوى، ولأنَّها نتيجة الاستغلال والسّيطرة، الأمر الذي جعل هذه العلاقة تخضع للطرف القوي، وتكون في أغلب الأحيان أقرب إلى الامتثال والتّبعيَّة، وقد استغلّ الغرب هذه العلاقة وحاول أن يجعلها دائمة" (منيف، 2007). إذ لَم ينتهِ القرنُ التاسعَ عشر إلا وقد عظم شأن الاستعمار الغربيّ، وبسط نفوذه على الكثير من الدول العربيَّة والإسلاميّة فوقعت تحت سيطرته، وَأَصْبح العالم في قَبْضَة الغَرب، وحتّى بَعد تحرّر معظم الدول من الاستعمار بِشَكْله التقليدي –العسكري– إلا أَن تَأثير الثقافة الغازية أصبح أكثَر قُوّة وفعاليَّة؛ لأنّها أصبحَت تعيشُ فِي قلب بلادهم وتُقدّم نموذجًا حيًّا لأنماطها الفكرية والاجتماعية يسري عن طريق المُشاهدة والتَقلِيد، وفرضت الدّول الغربيّة الغازيةُ لُغاتِها وثقافتَها في البلاد التي احتلّتها، وذلك تمهيدًا لتغريب المُستعمَر ومحْوِ طابعه الخاص.

ولم يَكُن هدفُ الاستعمار مِن نَشر حضارته هو تمدين البلاد التي استعمرهَا كما كان يتشدّق به ويَزعمُه، ولكنّه كان يقصد بِذلك إزالةَ الحواجز التي تقوم بينه وبين هذهِ الشّعوب، وهي حواجزُ تُهدّد مصالحَه الاقتصاديَّةَ، وتَجعل مُهمّة المُحافظةِ عليها صعبةً غير مأمونةِ العواقب. (حسين، 1993)

وقد حرص المُستعمِر على زلزلة مفاهيم الحضارة العربيَّة وقيمها، واستبدالها بمفاهيمَ جديدة مُستورَدة، مُعاكسة تمامًا لمفاهيم الحضارة العربيَّة وقيمها. وتهدفُ هذه المفاهيم الجديدة لخلق روح من التحلّل والاستسلام والإعجاب بالقويّ الغازي، والتّسامح معه، والصّداقة معه، والولاء له، وقتل عوامل المقاومة والخصومة معه، وانحدار مفهوم الكيان الذاتيّ الخاص، وقد استَبطَن الاستعمار في دهاء مظاهرَ العنف في عمليَّة التّغريب، وغلّف مظاهرها بطابع العصريّة والمدنية والدّعوة إلى التّسامح وتقبّل الرّأي الآخر. (الجندي، 1960)

وَيظهرُ الاغتراب جليًا بعد رحيل المستعمِر من الأرض واضعًا المستعمَر أمام حَقيقة مُرَّة فحواها أنّ الاستعمارَ مازال مُستمرًّا، بل إنّه يتخذ وجهًا أشدّ بَأسًا من الوجود العسكريّ يتمثّل بالوجود الثقافيّ والغزو الفكري، فتحيا ذاتُ المستعمَر في حالة نضالٍ لتُحافِظَ على قيمها الثقافيّة، وحالةِ كفاحٍ للاندماج في العالم الجديد بقيمه الجديدة، وفي خضمّ هذا الصّراع يتولّد الاغتراب.

أمّا إذا انتقلنا إلى العَولمَة كونها أحدَ عوامل التّغريب، فإنّها تعني "تعميم الشيء وتوسيع دائرته ليشمل العالم كله، وهي تعني في المجال السياسي منظوراً إليه من زاوية الجُغرافيا السياسيَّة (الجيبوليتيك) العمل على تعميم نمط حضاري يخصّ بلداً بعينه –هو الولايات المُتحدة الأمريكيّة– على بُلدَان العَالم أَجْمَع، ولَيْسَت العولَمَة مُجرّد آليّة من آليّات التطوّر التلقائي للنظام الرأسمالي، بل إنها أيضًا وبالدرجةِ الأُولَى دعوةٌ إلى تبنّي نموذج مُحدّد ومُوحّد، وبعبارة أخرى "فالعَولَمَةُ إيديولوجيا تعبّر بصورةٍ مُبَاشِرة عن إرادة الهيمنة عَلى العَالم، وأمركته، ثُمّ تغريبه" (الجابري، 1998).

ففي ظل الثورة العلميَّة والتكنولوجيَّة والتطورات السّريعة في وسائل الاتصال والانتقال أضحى العالم يعيش في قرية صغيرة، يُعمَّمُ فيها نمطُ الحياةِ الغربيّة –لاسيما الأمريكيةُ– ونماذجها الاقتصاديَّة والسياسيَّة والاجتماعيَّة والثقافيَّة، وبات هذا الانتشارُ الواسع وغيرُ المحدود للأنماط والمعتقَدات والأفكارِ والقِيم والقناعاتِ الغربيَّة يمثّل إشكالاً وتهديدًا للهُويَّة الثقافيَّة في الدول العربية والإسلاميَّة، مما فجّر

العدد السابع والثلاثون
تاريخ الإصدار: 2 – تشرين الثاني – 2021 م
www.ajsp.net
ISSN: 2663-5798

أزمةَ هُويّة ثقافيَّة لدى أفراد المجتمعات العربيَّة، وأدى إلى نشوب صراعٍ داخليّ في نفوس من ينتمون لهذا المجتمع. فهم تربَّوا على ثقافةٍ ومبادئَ معيّنة، وعاشوا في ظلِّ أخرى.

وتعدّ العولمة الثقافيةُ من أخطر أنواع العولمةِ؛ لأنّها تدعو إلى خَلق ثقافةٍ واحدة للبشر (الثقافة الغربيّة) وإلغاءِ التنوّع الثقافي، ومحاولةِ نزعِ الشعوب من هوياتهم الثقافيَّة واللغويَّة من أجل إعلاء ثقافة العولمة على حساب الثّقافات الأخرى. والعولمة بوصفها أحد عوامل التّغريب تختلفُ عن العالَميَّة "فالعالميّة تَفَتحٌ على العالم وعلى الثقافات الأخرى واحتفاظٌ بالخلاف الإيديولوجي، أمّا العولمةُ فهي نفيٌ للآخر وإحلالٌ للاختراق الثقافيّ محلّ الصراع الأيديولوجي. والعولمة إرادةٌ للهيمنة، وقمعٌ وإقصاء للخصوصي" (الجابري، 1998).

وقد شَهد العالم كما هو معروف هيمنةَ النّموذج الحضاريّ الأوروبيّ ابتداءً بالكشوف في عصر النّهضَة، وما أَسْفَرت عنه من توسّع اقتصاديّ واستعماريّ تلا عَصر النَهضة وامتدّ حتى بلغ ذروته قبيل الحرب العالميّة الثانيّة فِي مُنتصف القرن العشرين. وكَان الاستعمار عمليّة عولمة من نوعٍ ما، بوصفه ربطاً للمُستعمرات على طولِ الكرة الأرضيَّة وعرضها بمركز غربيّ واحد، ومحاولة إعادة تشكيل تلك المُستعمَرَات بما يُمثّله الكثيرُ منها مِنْ إرْثٍ حَضَاريّ ضَخْم ومُغايرٍ لِما في الغرب، من خلال مُعطيات الحضارة الغربيّة. فكان مِن نَتَائِج العَولَمَةِ الثقافيَّة المُبَاشرة انتِشَارُ اللغة الإنجليزيَّة كما لم تنتشر مِن قَبْل، واكْتِسَاحُ الأَنْمَاط الفكريّة والاجتماعيَّة للثقافة الغربيَّة (الجابري، 1998).

وفي ظلّ موجات التّغريب التي تفرضُ الهيمنة الغربيَّة. يَبرُزُ مفهومُ الإمبرياليَّة الثقافيَّة الذي بلوره عالم الاتّصال هربرت شيلر (Herbert Schiller 1919–2000) وهو مفكر وعالم اتّصال واجتماع أمريكي، وذلك في كتابه الموسوم بـ(الاتّصال والهيمنةِ الثقافيَّةِ)، وافتَرَضَ فيه سيطرة الدّول الغربيَّة على أجهزةِ الإعلام في شتى أنحاء العالم، ونتيجةً لتلك السّيطرة تنشَأ الهيمنةُ الثقافيَّة التي تُسفِرُ عن وَأدِ الثقافات المحليَّةِ، وإبدالها بالقيمِ والمعايير الغربيَّة، ومن ثَمَّ التَّغريب. وطبقاً لشيللر فإن الإمبريالية الثقافية المُرتبطة باستحكام بعمليّة التّغريب هي العمليَّة التي يُدمَجُ فيها المجتمعُ في النظام العالميّ الحديث من خلالِ أجهزة الإعلام بوصفها عتادًا للاختراق الثقافي، وهي مُكمِّلةٌ للهيمنةِ العسكريَّة والاقتصاديَّة والسياسيَّة من خلال خضوع كافة الأنظمة لاسيّما الإعلاميةُ والتربوية في الدّول التّابِعة والمُغرَّبَةِ للقيم والمعايير الغربيّة، لتصبح نُسخةً مطابقةً للنّظام الغربيّ.

وعليه، يَتبيّن لنا أنّ التّغريب حربُ فكرٍ لا حربُ سَيف، واستعمارُ ثقافة لا أرض. ذلك أنّ القوى الكولونياليَّة تُدرِكُ جيِّدًا أنّ الاستيلاء على الأرض لا يعني بالضرورة الاستيلاء على أهلها. إنّ الاستيلاء على الأرض يتمّ بقوة السلاح، أما الاستيلاء على البشر فلا يُجدي فيه الأسلحة مهما بلغت قوّتها، فلا بد إذن من عملٍ مُنظّم لتغريب الشّعب المُراد فرض الهيمنة عليه، حتى يَقبل الاستعمارَ الغربيّ، ويَهضمَ حضارته، فقد صمّم الاستعمار الزاحف على أن يهدم ويُدمّر، ولكن بأسلوب غير أسلوب التّتار والصّليبين القُدماء، فاتّجه إلى تَدمير العقائد والأفكار، وهَدم القِيم والأَخْلَاق، وتَحطيم الآداب بمعاول خفيّة لا تراها الأعين بسرعة، ولا تَلمسها الأيدي بسهولة، وبأساليب ناعمة لا تُثير الشعوب ولا تُغْضب الجماهير (القرضاوي، 1988).

- **الاغتراب والتّغريبُ في الرّواية القطريَّة**

تَتّسمُ مرحلة التّطوير وما بعد الرّيادة في الرّواية القطريَّة بميسَم التّخييل الذاتيّ للوقائع اليوميَّة والاجتماعيَّة والسياسيَّة عبر خطابٍ تطرحُه شخصياتٌ مأزومةٌ، ومُثقّفة، ونخبويَّة، وهي تُواجُه مُجتمعها الآخذَ في التغريب، بما يقودُ الذّات إلى الانغماس الكليّ في

قلق الهُويّة وأزمتها. ويُلاحَظُ أنّ بناء العمل الرّوائي قام على توليفة ثُلاثيَّة قوامها الواقع الذّاتيّ والسّياسيّ، وشخصيّة المُثقّف المأزوم، ثُم تخييل هذا الواقع تخييلًا أدبيًّا يمزجُ ما بين الواقع والمُثقّف معًا في متنٍ سرديّ (سليم، 2016). ويُمكنُ القول إنّ الاغتراب يُشكّل (ثيمة) ثابتة في العديد من الرّوايات القطريَّة، منها بقصد التّمثيل لا الحصر روايات أحمد عبد الملك التي تدورُ معظمُ أحداثِها في فَضَاء الآخر، مثل (القُنبلة، والأقنعة، وأحضان المنافي، وميهود والجنيّة) وكذلك دلال خليفة في رواية (أشجار البراري البعيدة) ومريم آل سعد في رواية (تداعي الفصول)، وغيرها.

ولاشكّ أنَّ دولة قطر جزءٌ من كيان أكبر مُتمثّل بالعالم العربيّ والإسلاميّ، الذي يَشهد موجات غزو فكريّ وثقافيّ واجتماعيّ، أدّى إلى التغريب، وهو الوَجه الآخر للاغتراب. وقَد تبدو الإشاراتُ الواردة في الروايات القطريَّة إلى قضيّة التّغريبِ في المُجتمع سريعة ومُتواضِعةً أحيانًا، أو هامشيّة في أحيان أخرى، ولكنَّها في كلّ الحالات دالّة ومُعبّرةٌ عَن وعي الروائيّ القطريّ بوجود إشكاليَّة جَسيمَةٍ يُعاني مِنها المُجتمع القطريّ، بل البلاد العربيَّة والإسلاميّة قاطبة. والواقعُ أنّ وَقْعَ التّغريبِ على المُجتمعِ القطريّ كبير؛ لأنَّه يتّسِمُ بكونه أحد أكثر المُجتمعات مُحافَظَةً والتزامًا بالتقاليدِ واعتزازًا بالأصَالةِ التي باتت تَخبو وتهمَدُ في العقودِ الأخيرةِ نتيجة تدفّق النَّفط الذي أسهم في الانفتاح على ثقافة الآخر، إضافة إلى البعثات الخارجيَّة إلى دول الغرب، والعولمة.

إنّ مهمة المثقّف والمفكّر كما يرى إدوارد سعيد تتطلّب اليقظةَ والانتباه على الدوام، ورفضَ الانسياق وراء أنصاف الحقائق أو الأفكار الشائعة باستمرار (سعيد، 2005)، ولهذا يسعى المُثقّفُ القطريّ إلى كشف الأخطار التي تُحيطُ بمُجتمعه وعلى رأسها خطر التّغريب. فيقول (ميهود) الذي يُمثِّل شخصيّة المُثقّف المأزوم في رواية (أحضان المنافي) مُعالجًا هذه القضيَّة: "لقَد (تَأَمْرَك) العديدُ مِنْ هَؤلاء الشَّباب وانْفَصَل عَن تُراثِه وتاريخه ومعارفه. لقد أصبَحوا روبوتات استهلاكيَّة تنطلق نَحو المُنتَج الأجنبيّ وتَلْتَهِمُه بِلا تَفْكِير أَو أدنى مُحاولةٍ للإنتاجيَّة. السيارة الفارهة والملابس (الكشخة) النّظيفة والاكسسوارات من نظارات ومحابس اليَّد وقصّات الشعر وأنواع الغتر والأحذية كلها ماركات عالميَّة. الأغاني تُعزّز حالات الاغتراب الاجتماعي والفكريّ. هذا الجيلُ ما عاد يعرفُ مِنْ هُو عبد الناصر أو العقّاد أو كفاح الشَعب الجزائريّ مَع الفرنسيين. ولا يعرف مَن هو بن لَعبون ولا أُمّ كلثوم ولا المَنفَلوطي. جيلٌ لا يعرفُ ما هي المُعلّقات ولا جماليَّات اللغة العربية. جيلٌ منفَصِلٌ عنْ التاريخِ والجُغرافيَا. جيلٌ مُمَزَّقٌ بَينَ المَسجدِ والبَار، بين الرُجولةِ والصَّلابَةِ ودعوات التخنّث" (عبد الملك، 2005).

يُعدُّ المقطعُ السّابقُ من أكثر المقاطع السرديَّة المُكثّفة تعبيرًا عن صميم إشكاليَّة التَغريب، فَيصفُ (مَيْهُود) بدقّةٍ حال المُجتَمع المُغرّب مُستعملًا فعل (التَّأمْرُك) الذي يُعدّ البديل الأدقّ للتغريب بوصف الأنموذج الأمريكيّ هو المُهيمنُ والغالب في العصر الحديث. والنّتيجة الفوريَّة لهذا (التّأمرك) أو التغريب هو الانفصالُ التدريجي عن الهُوية والتُراث، و"من لا تراث له لا جذور له، ومن لا جُذور له غصنٌ يابسٌ" (أدونيس، 2010)

كما يصفُ (مَيْهُود) حالةَ التّشيّؤ التي فرضتها العقليّة الرأسماليّة الغربيّة التي تسعى إلى نَشر النزعة الاستهلاكيَّة في أنحاء العالم لإحكام سيطرتها عليه، إذ يُصبِح "العالم الثالث منجم مواد خام لصناعات العالم الأوّل أو سوقًا لمنتجاته. أما مراكز التّسوّق فهي جيوب استيطانيّة ونماذج للمُستعمَرات الجديدة التي تمثل قطعةً مِنَ العالم الأوَّل تتحدى وجود الوطن في عقر داره" (المسيري، 2009).

العدد السابع والثلاثون
تاريخ الإصدار: 2 – تشرين الثاني – 2021 م
www.ajsp.net
ISSN: 2663-5798

- **تغريب التّعليم والثّقافة والمُعتقَد:**

تظهرُ قضيّة التّغريبِ وارتباطه بالتّعليم والثّقافة والمُعتقدات الدينيّة بتكثيف في رواية (فازِع شهيد الإصلاح) حينما يتذكّرُ (قانص) "موضة الخبراء الأجانب الذين تحدّث عنهم والده، حيث حلّوا في نهاية التسعينيات في المنطقة وخططوا لتغيير وجه الحياة فيها، بدءًا من التعليم والملابس والأذواق والأطعمة وخيارات الحياة! (...) أصبح المُسلمون أقليَّة في المملكة. والمُواطنون أقل! وضاعت هُويَّة المملكة وأهلها، وأصبحت لا تختلفُ عن سنغافورة أو هونغ كونغ". ويُكمل (قانص) استحضار الماضي متحسّراً على الحاضر المُشوّه نتيجة التّغريب: "كان التعليم في الستينيات من القرن التاسع عشر أقوى وأثرى من التعليم السريع الحالي، الذي يُشبه الأطعمة الأمريكية السريعة. لقد صُودر الشعر العربي من المناهج، كما اختفى التاريخ الإسلاميّ والدين واللغة العربيَّة بكل فُنونها، وحُذفت الجغرافيا بقصد عدم إثارة قضايا الحدود. وصار التركيزُ على الفيزياء وعلوم الكمبيوتر وأبحاث الفضاء والذرّة. فرض خبراء التعليم الأمريكيون أنماطًا جديدة من المناهج كي يتمّ تغيّر وجه الحياة في المنطقة منذ عام 2000" (عبد الملك، 2009).

يكشفُ (قانص) في المقطع السَّابق حالة التّغريب في ذروتها، حيثُ يصف حركة انتقال الأفكار، والعقائد، والقيم، والعادات الغربيَّة بصورةٍ مُكثّفَةٍ وغير مُسَيطَرٍ عليها إلى المُجتمعات العربيَّة. وذلك بدءًا بالتّعليم الذي يُعدُّ أداة التّغريب الأولى والكُبرى. فالتعليم بالطريقة الغربية "هو الخنجر المسموم للغرب الذي طعنت به الأمة العربية والإسلامية" كما يصفه أنور الجندي. وشكّل التعليمُ الأداة السياسيَّة التي تُمكّنُ المُستعمِر من تمرير سياساته وأطروحاته الاستعماريَّة. وعليه، فقد تشوّه وجهُ الحياةِ في المنطقة التي فقدت أصالتها، وبات المُسلمون (أقليّة) فيها، وقد "كان من سوء الطالع أن تُرهَن المملكة بيد الأجانب الذين خطّطوا للتعليم والمُؤسّسات والبترول والشركات العملاقة، دُونما اعتبار للهويَّة ومصلحة المواطن" (عبد الملك، 2009).

ولهذا فإنّ التحولات التي طرأت على المُجتمع بفعل التغريب شملت مظاهر الحيَاة كافّة، وأصابت شظاياها المُجتمع، والثقافة، والأُسرةَ. ولقد حرص المُستعمِر على زلزلة مفاهيم وقيم الحضارة العربية والقضاء عليها واستبدالها بمفاهيم جديدة مُستورَدة، ومُعاكسة تمامًا لمفاهيم الحضارة العربية.

فخطر التغريبِ يكمنُ في أنّه لا يتّخِذُ صورة المُبَشّرين الذين يرون أصحابَ الديانات الأُخرى هَراطِقَة تجب دَعوتهم إلى الديانةِ المُتحضّرة، ولا شكل كتابٍ يؤلّفه مستشرق غربيّ لتشويهِ صورة الآخر، بل أخْطَرُ ما فيه أنّه يتم بدافع ذاتيّ، دون مجهود من المُستعمِر، ودون أن تُدرِك ضَحيّتُه أنّها مُستهدَفَة، فتُقبِلُ في حماسةٍ لا على قَبول التّغريبِ فحسب، بل على اعتناقه واحتضانه. فيصبحُ المرءُ نتيجةً لذلك عدوّ نفسه، كأنّه كما يقولُ أبو الفضلِ العبّاس بن الأحَنف:

كَيف احتراسي مِن عـدوّي إذا كـان عـدوّي بَيـن أَضْلَاعي. [السّريع]

وهذا ما يتّضح في رواية (القُنبلة) في وصف (حياة) لحالة زوجها (ناصر) عند عودتهِ من الولايات المُتّحدةِ الأمريكيَّة وظهور أثر التّغريب الجليّ عليه، فقد "أصبحَ عنيفًا شرسًا (...) كان يتهمني بالتخلف كلما حدثته عن أهميَّة التقرب للمسؤولين، والتحدث للآخرين بدبلوماسيّة وكان يضعني ضمن قائمة المُتخاذلين ضد الحق والعدالة. إنّ دراسته في الولايات المُتحدة قولبت تفكيره حسب المنظور الأمريكيّ! (...) هل كلّ النّاس ملائكة هُناك؟ كان ناصر يريدُ أن يعيش حرًّا كما تعلّم في أمريكا! (...) رجوته كثيراً أن يعود إلى الواقع

العدد السابع والثلاثون
تاريخ الإصدار: 2 – تشرين الثاني – 2021 م
www.ajsp.net
ISSN: 2663-5798

ويُساير النّاس ويترك عنه مثاليات أمريكا. كان يسخر منّي ويتهمني بالتخلّف وبتأييد قوى الشرّ والتسلط"، ذلك أنّ "شغفه بالانفتاح والتحرر أعمى بَصره وبَصِيْرَته" (عبد الملك، 2006)

يدعو ناصر في غيرِ مواربةٍ إلى التطبّع بطبائع الغرب الذي يراه أنموذج التحرّر والتطوّر، وهذه الدّعوة تُشكّل إحدى أهمّ مقاصد التّغريب، فإرساء قواعد التغريب يتطلّب إيجادَ شعورٍ مُحتدّ بالنّقص في نفوس المسلمين والشرقيين عامة، وذلك بإثارة الشُبهات حول ثقافتهم وموقعهم الحضاريّ، وانتقاص الدّور الذي يقومون به في تاريخ الثقافة الإنسانيَّة، ونعتهم بالتخلّف والرجعيَّة. وفداحَة الأمر أنّه لا يقتصرُ على الثقافة فقط، بل يمسّ الدين الذي يُصبح التّمسك به وجهًا من وجوه التخلّف والتعصّب. ويظهر ذلك جليًا في رواية (تداعي الفصول) حينما تضايق (سالم) من زوجته (سارة) بعدَ أن دعاها إلى غداء عمل مع بعض الخُبراء الأجانب، ودخلت مُرتدِية الزّيَّ الإسلاميّ التقليديّ المتمثّل بالعباءة والحجاب، فحاول أن يسير بها خارج المطعم حتى لا يراها ضيوفه، وقالَ لها مُعاتِبًا ومنزعجًا من مظهرها الذي يَشي (كما يراه) بالتخلّف والرجعيَّة:

– "ما هذا الذي ترتدينه.

– ملابس.. ماذا ترى؟ عباءة وحجاب.

– وهل هذه ملابس سيّدة راقية؟

– ماذا تقصد؟ لا أدري ماذا تتوقع أو تعني بكلامك..

– قال سالم بعصبيّة: كنت أتحدث معهم للتوّ عن أوضاع المرأة في البلاد، وكنتُ أحدثهم منذ قليل عن وجودِ طليعة من المُثقفين لا تُساير التخلف الموجود الذي يُغلّف البعض، وكنت أضربُ لهم مثلاً بك.

– قاطعته سارة بضيق: وما دخل الثقافة في العباءة والحجاب؟

– ألا تفهمين؟ ما هذه الأسمال التي ترتدينها كأنّك ناطور في السوق مع هذا الجلباب. هل أنتِ في مأتم حتى تلبسي أسود على أسود؟ أريدكِ أن تخلعي هذه الملابس الرثّة وترتدي ما تطرحه أحدث بيوت الأزياء" (آل سعد، 2007).

ويَرِدُ في رواية (فازِعْ شَهيد الإصْلاحِ) حديثٌ مؤلم مُغِمّ عن حالة الاغتراب التي يعاني منها أهل المملكة، بل والممالك المجاورة لها جرّاء هيمنة "الأجانب الذين يبثون ثقافات غريبة في المجتمع"، وقد نجحوا في ذلك، "فلقد اختفت الملابسُ الوطنيّة المعروفة. وسَكن الشباب في شقق ضيقة، ولم يعودوا يحفلون بالبيوت الكبيرة التي تجمع العائلة. وأصبح لا عيبَ أن تجتمع (بنت الحَمولة) مع أصدقائها في (كوفي شوب) أو (بار) تدخن ولربما تنزل إلى صالة الرقص الغربيّ وسط كؤوس الشراب الملوّنة! لقد توارى الزيّ النسائي، وأصبح الناس يستذكرون حكايا النقاب والحجاب" (عبد الملك، 2009). ونتيجةً لذلك فقد "تلاشت الألفة وغابت المحبَّة، وأصبحت مُدن النّفط والإسمنت مرتعًا للجرائم والحوادث المُميتة (...) وانتشرت محال بيع الخمور بلا رقيب. اليوم يتحسّر الناس على أيام اقتصار تقديم الخمور في الفنادق ذات الخمسة نجوم والتي كانت ضمن سياج مُحدّد في التسعينيات من القرن الماضي". فمن المَعلومِ أنّ شُرب الخمر من الكبائر في الدين الإسلاميّ، وانتشارُ هذه الظّاهرة في المُجتمع مُستنكَرٌ ومَرفوض بصرامةٍ، إلا أنّ موجات التّغريب طَبَّعت مثل هذه

العدد السابع والثلاثون
تاريخ الإصدار: 2 – تشرين الثاني – 2021 م
www.ajsp.net
ISSN: 2663-5798

العادات الغربيّة البحتة، فـ"تعولمت المدن المحافظة، وصار الشراب متوفراً، وهذه إشكاليّة كبرى تُعاني منها دول الخليج" (عبد الملك، 2011). ويظهرُ ذلك جليًّا في كون الكثير من الشخصيّات في الروايات تشرب الخمر دون استنكار أو استهجان من محيطها، فقد "كان فازع يشربُ الويسكي من نوع (بلاك ليبل).. كانا يذهبان إلى المرقص الكبير في المدينة يسهران ويرقصان (...) في أمريكا نسي (فازع) قضايا القبيلة ونزاعاتها وتطرّف بعض أعضائها، واختطَ لنفسه طريقا آخر، ما جعل له شخصيَّة مُستقلة عن الماضي بكل خرافاته وشطحاته وتوحشه". وفي موضعٍ آخر يصف الروائي جلسة (فازع) وأصدقائه "حيثُ تصدحُ الموسيقى، وتتقارع الكؤوس كلّ لحظة (Cheers) أو كما يقولها العرب (Chairs)" (عبد الملك، 2009). وكذلك (سعود) في رواية (الأقنعة)، فبعد أن تحوَّل "من طاولة القمار نحو البار، طلب كأسًا من الويسكي بالثلج"، وكان يطلب "أرقى أنواع الشمبانيا ويخلطها أحيانًا مع الويسكي، ولم تكن جنّة تُمانع بل تعلّمت منه كيف تقرع الكأس وتقول له Cheers! " (عبد الملك، 2011).

والحالُ نفسُها مع (يوسف) في رواية (انكسار) حيثُ كانت زوجته تُعدُّ له الشّراب كلّ ليلة: "كانت تعرف طقوسي الليليَّة، فأنا أشربُ مشروبًا روحيًّا قبل العشاء، فسكبت لي كأساً من الويسكي مع الماء، رشفت رشفة عجلى، ثم أعدتُ الكأس إلى مكانها" (عبد الملك، 2011). وتقولُ (حياة) في رواية (القُنبلة) مُتحدّثَةً عن زوجها (ناصر) بعد عودتهِ إلى منزله: "لم أشمّ سوى رائحة الويسكي وبقايا أنفاس السيجار الكوبي" (عبد الملك، 2006)

كما تظهر هذه العادة في رواية (العريضة) كذلك، فعندما أعلن (جون) الأمريكيّ إسلامهُ لكي يتزوّج من (هُدى) "أراد أن يدهش نفسه بتصرفٍ نبيل كأن يمتنع عن احتساء الكحول في بلد هُدى وأمام جماعتها، ولكنّه يجدُ ذلك صعبًا في وجود مُسلمين يكرعون الكؤوس من بار عبد الله الخاص" (آل سعد، 2011)

إنّ هذا الانغماس في العيش بنمط الحياة الغربيّة والانصهار في بوتقة العادات الغربيَّة وضمور الوازع الدينيّ هو أكبر دلائل تمكّن التغريب من بلوغ مآربه. فتحوَّل (الكبائر) المرفوضةِ دينيًّا واجتماعيًّا إلى عادات يوميَّة اعتياديَّة –عند البعضِ– يفصحُ عن نجاح الفكر الغربيّ في التغلغل داخل المُجتمع رويدًا رويدًا، وإن كانت تلك الشّخصيات لا تُمثِّل إلا شريحة صغيرة من المُجتمع الذي ما يزال يستنكر ويرفضُ بصرامةٍ هذه الأفعال؛ إلا أنّ وجودها يكشف إشكاليَّةً حقيقيّة بات يُواجهها أفراد المجتمع المُلتزم في ظلّ موجات التّغريب.

ويدور حوار حول الإشكاليَّات عينها في رواية (فازع شهيد الإصلاحِ) بين (قانص) الذي كان يفكر شاردًا، و(فازع) الذي يسَألهُ:

– "وين رحت؟

– رحت بعيد يا فازع بعيد.. عام 2000 يوم جونا الخبراء الأمريكان وكان عمري خمس سنوات.

– غيّروا شكل الحياة ونجحوا!

– جزء من الخطّة ياخوك. إن الدين يتزعزع، والشخصيّة تضعف، والانتماء يموت!" (عبد الملك، 2009).

ثُم يستفيضُ (قانص) في عرض مظاهر التّغريب في المُجتمع وآثارها على الحياة الدينيَّة والاجتماعيَّة، فقد "ظهرت بعض العادات والتقاليد الغريبة على المجتمع العربي في المملكة، وعانى المسلمون من الأوامر التي تأتيهم من السلطات لتخفيض صوت الأذان

في المساجد، في الوقت الذي تقرع الأجراس في الكنائس وبصوت مرتفع وتقام التراتيل في المعابد اليهودية، وتنقل الفضائيات الخاصة تلك الشعائر لساعات طويلة على الهواء مباشرة. انتشرت الصلبان الضخمة فوق الكنائس وانتشرت كتب (المزامير) في المكتبات العامة" (عبد الملك، 2009).

والإشَارةُ إلى ربط التّغريبِ بزعزعة الدين وفناء الانتماء إشارةٌ واعيَةٌ في مَحَلّها، والإحساسُ بالاغتراب والتّغريب وقعهُ أعْظَم عَلَى المُسلم المستعمَر أكثر من أيّ مُستعمَر آخر؛ ذلك أنّ الإسلام لم يكن مجموعة مِن الشّعائر الدينيَّة فحسب، كما هو الشَّأن في غيره من الأديان، ولكنّه حضارةٌ كاملة لها لُغتها وقيمُها وقوانينها التي تمتدّ وتتغلغل لتشمل جميع احتياجاتِ الأفراد والجماعات في سلوكهم وفي معاملاتهم، وفي نشاطهم الفكريّ والعاطفيّ على السواء.

ويهدفُ التغريب إلى تأخير يقظة المُسلمين وإحالتها عن وُجهتها ليعكفوا على تبعيّتهم للغرب، فالتّغريب هو الحارسُ لمصالح المُستعمِر، وفي الوقت نفسه وسيلة لإضعاف الرَّوابط الفكريّة والثقافيَّة والاجتماعيَّة والدينيَّة التي تجمعُ المُسلمين والعرب الذين امتازوا بوحدة القيمِ الحضاريَّة. كما أنّ العقيدة الإسلاميَّة تتميّز بكونها كليَّة وشاملة، فهي منظومة القيم التي تمثل مرجعيتنا في السلوك، وليست نسبيّة ولا مرحليّة (عمارة، 1999). ولهذا فإنّ الإسلام يُشكّلُ مصدر تهديد للغَرب، وكبش الفداء الذي يُنسبُ إليه كلُّ ما يتصادف أن نكرهه في الأنساق السياسية والاجتماعية والاقتصادية الجديدة في عالم اليوم. فاليمين يرى أنّ الإسلام يُمثّل الهمجيّة، واليسار يرى أنّه يمثّل حكمَ الدين في القرون الوُسطى، والوسط يرى أنّه يمثل الغرابة الممجوجة، وأمّا ما تتّفق عليه هذه الدوائر جميعًا –على الرغم من ضآلة ما تعرفه عن العالم الإسلامي– فهو استحالة قَبول جوانبَ كثيرةٍ من جوانبه (سعيد،2005)، ومن هُنا نَشَأت رغبَةُ إقصاء هذا الدّين عن طريق التغريب الذي يَستكمِلُ باشتطاطٍ ما بدَأه التّبشيرُ والاستشراقُ قبلَه.

وجرّاء كلّ هذا الانغماس في ثقافة الغرب، وتبنّي قيمه ومبادئه، تزعزع الدّين وضَعف الانتماء إليه كما ذكر (فازع)، و"أصبحَ التُراثُ حنينًا لا تعرفه إلا القلّة من الناس (...) كما تلاشت العَرْضَة والفنونُ البحريّة التي حفظها بعض الأجداد. الإذاعة والتلفزيون أصبح لهما مواضيع جديدة تعنى بالحياة والعلوم وحياة الشعوب الأخرى. تلاشت اللغة العربيَّة أمام اللغة الإنجليزيّة التي أصبحت لغةَ التّخاطب اليوميّ" (عبد الملك، 2009).

- **التّغريبُ اللغويّ:**

تَتكرّرُ في الرواية القطريّة إشكاليّة تهديد اللغة العربيَّة وخطر تلاشيها أمام موجات التّغريب التي تستهدفها بضراوةٍ. فتُناقش (ندى) في روايةِ (انكِسَار) على موقعها الإلكترونيّ الذي تطرحُ فيه قضايا من صميم المُجتمع مسألة الآثار التّغريبيَّة على اللغة العربيَّة، وسيطرة اللغة الإنجليزيَّة التي تغلغلت في المُحادثات اليوميَّة العفويَّة، ثُمّ انتقَلَت إلى التعاملات الرسميَّة، حتّى أدّت إلى إقصاء اللغة العربيَّة. وَوُصِفَت هذه القضيَّة من قبل المُشاركين في المُناقَشةِ بأنّها من أَخطر القضايا وأكثرها تأثيرًا في الجيل القادم، وذلك من خلالِ الحوارِ الآتي:

"الإشكالية أننا نستهلك كل تقنية وكل برمجيّة دون أن نلتفت إلى المعايير الأخلاقيّة التي تحكمُ المجتمع العربي.

العدد السابع والثلاثون
تاريخ الإصدار: 2 – تشرين الثاني – 2021 م
www.ajsp.net
ISSN: 2663-5798

صحيح، إن الأفكار تراكميّة، أنا أعاني من عدم قدرة أولادي على التمييز بين الحروف أو الأرقام العربية، ويكتبونها حسب النمط الإنجليزي.

أنا مُشكلتي أكبر: أحفادي لا يُكملون الجملة باللغة العربيَّة، بل يكملونها بالكلمات الإنجليزيَّة؛ لأنّها أكثر تداولًا بينهم في المدرسة.

أنا معك، فأحد أحفادي يقول مثلاً Give me فلوس حتى أروح (سوبر ماركت)"

يكشفُ الحوارُ السَّابِقُ عَن استياءِ أفرادِ المجتمعِ من هيمنة اللغة الإنجليزيَّة، وما يترتّب عليها من ضعف للّغة العربيَّة، لاسيما عند أبناء الجيل الحالي الذين باتوا عاجزين عن التّعبير عن أنفسهم بلُغَتِهم. وتتّضِحُ تلك الإشكاليَّةُ بصورة أكبر بعد اِستئنافِ الحوارِ في موضعٍ آخر في الرواية، مع عرض الآراء المُختَلِفَةِ تجاه المَسألةِ:

"التعليمُ أساسٌ لمستقبل الأمة ولا يجوزُ التجريب فيه.. لا تجوزُ المغامرة بمستقبل الأبناء، أنا لا أهتم إن كان ابني (يرطن) بالإنجليزيَّة، بل أهتمّ أن يتقن لغة أمّته ودينه.

هذا صحيح، الآلاف من ضحايا التعليم الجديد غير قادرين على المواءَمة أو التفريق بين مفاهيم اللغة العربيَّة ودلالاتها.

عفواً، إنّ المُستقبلَ للغة الإنجليزية، والجيل الحالي لا يُمكن أن يحصل على وظيفة ما لم يكُن متسلّحًا بالإنجليزيَّة التي هي لغة العصر.

ما هذا الكلام؟ إن اللغة العربية لغة القرآن، وحافظة للحضارة العربية والإسلامية، فكيفَ لا يُتقنها الأبناء؟ نحنُ في أزمةٍ يا جماعة.. وما لم تحُلّ هذه القضية، فإن رهاننا على بناء الإنسان سوف يظلّ يراوح محلّه. أليسَ بناء الإنسان يعتمدُ على مدى إتقانه للغته واستيعابه لمخرجات الحضارةِ عبر لغته الأم؟" (عبد الملك، 2019)

يُنبّهُ الحوارِ السّابقِ إلى إحدى أهمّ المسائل فيما يتعلّقُ بإشكاليَّة التغريبِ، وهي فرضُ لُغَةِ المُهَيمنِ الغربيّ، وتهميش اللُّغَة العربيَّة التي لا يُعدُّ ضَياعُها ضياعًا للغةٍ فَحَسب، فاللُّغَةُ عالمٌ قائمٌ بذَاتِه يُنَظِّمُ سيرورةَ الوجودِ. ولقد تعرَّضت اللغةُ العربيَّةُ في تاريخِها العريقِ لتحدّيات عديدة، منها على سبيلِ المثال الدعوةُ لاستخدام الحرف اللاتيني بدلاً من العربي. وأبرز من دعا إلى هذا عبد العزيز فهمي باشا، والدعوة إلى العاميَّة مثلما فعل أحمد لطفي السَّيد وقاسم أمين وسلامة موسى وغيرهم.

ومن التّحديات المعاصرة التي تُهدِّدُ أمن اللغة العربيَّة تحدّيات التّغريب والعولمة، التي لم تكتفِ باختراق المجالات السياسيَّة، والاقتصاديَّة، والاجتماعيَّة، بل امتدت إلى الممارسات اللغويَّة والتعبيرات الثقافيَّة اللغويَّة، وذلك عن طريق هيمنة لغة واحدة –الإنجليزيَّة– على العالم. وخُطورة هذه الهيمنة لا تنعكسُ على إشكاليّات هوان اللغة العربيَّة، بل تصل تأثيراتها إلى فكرِ ووعي مُستعملي اللغة؛ لأنَّ انعكاس أنماط اللغة ينعكسُ على أنماط تفكير أهلها وثقافتهم وإبداعهم في الحياة اليوميَّة، وهي وعاءُ الثقافةِ وأساسُ الفكرِ، والحافظةُ لهُمَا.

العدد السابع والثلاثون
تاريخ الإصدار: 2 – تشرين الثاني – 2021 م
www.ajsp.net
ISSN: 2663-5798

كما أنّنا نرى من خلالها العالمَ ونُعبّر بها عن رُؤيتنا وتصوّراتنا له. وما يُميّز اللغة العربيَّة أنّها تُحيطُ بها هالةٌ من القدسيَّة بوصفها لُغة الذِكر المُبين، فهي مفتاح فهم الدّين الذي يقْصرُ فهمه دون امتلاك ناصية اللغة، "فقد كانت اللغة وما تزالُ هي ضمير الفكر نفسه، وما تزال اللغة الفصحى هي مدخل الفهم إلى القرآن الكريم، وفي القضاءِ عليها محاولة للإغراب والبعد بمستوى الفهم عن الدّين والحيلولةِ دونَ الارتباطِ به" (الجندي، د.ت).

وعليهِ فإنَّ التغريبَ يُفضي إلى تكريس الأحاديَّة اللغويَّة والثقافيَّة فتُقصَى كلَّ الثقافات الأخرى وتغدو (هامشيَّة)، لتتربَّع ثقافةُ المُهَيمنِ على عرش (المَركز)، وهذا من مآرب الكولونياليَّة؛ فَبِفَضل التّغريبِ باتَت الثقافةُ الغربيَّةُ تُعرف بوصفها المركز، وكُل شيء يقع خارج ذلك المركز كان بالبداهةِ يقفُ عند هامش أو حافّة الثقافة والحضارة، لاسيما بعد مُنتصفِ القرن التَّاسع عَشر.

ويَطرحُ أحمد عبد الملك هذه القضيّة أيضًا في روايةِ (الأَقنعة) حيثُ يتساءَلُ الرّاوي: "لماذا كل هذا الانشداه نحو اللغة الإنجليزيّة في الوقت الذي لا يُتقن خريجو الجامعة اللغةَ العربية؟ هل العولمة تقضي أن تنقرض الشعوب الصغيرة صاحبةُ الأرض والثروةِ في مقابل الشعوب الوافدة؟ (...) ولماذا لا تُلغى التصنيفات الاجتماعيَّة أو (أهل المركز) و(أهل الهامش)؟ ولماذا يتكرّر المشهدُ المأساوي مع (أهل المركز)، ويستمر التوسع السلبي في (أهل الهامش)؟" (عبد الملك، 2011).

تعتنق (هُدى) التي تبنّت الفكر الغربيّ ونمط حياة الغرب في رواية (العريضة) هذا الرأي حول اللغة العربيَّة، فلم تكن "تقرأ كتب التراث التي تكتنز بها المكتبة إلا ما أرشدها إليها وزكّاه مشرف الرسالة (الغربيّ)، ولم تكن تجيد فهم اللغة العربية ولم تستطع تذوقها كما كان يكتبها ابن خلدون والغزالي والجاحظ أو حتّى محمود شاكر، والعقاد، وطه حسين، والرافعي. كانت تشعرُ بأنّها لغةٌ ميتة، غير بصيرة، ولغة مثقلة وصعبة ولا تتسم بالاختزال والوقوع مباشرة على الهدف" (آل سعد، 2011). ويعتقد إدوارد سعيد أنّ هذه النظرة للغة العربيَّة هي من صميم الهجمات الثقافيَّة التغريبيَّة على العرب التي تُركّز على لُغتهم، وتعيّبُها بوصفها لغة صعبة ومُعقّدة، ولغة الكلام المُنمّق والادّعاء المُروع، وذلك كلّه بغرض تشييعها إلى مثواها الأخير.

- **تغريبُ الهُويّة وإشكاليّة الانتماء:**

تطرحُ الكاتبة دلال خليفة في روايةِ (أشجار البراري البعيدة) إشكاليَّة التَّغريب من خلال حديث بطلة الرّواية (نُورة) عن أبناء أختها (هيا) الذين يتطبّعُون بطباعِ الغرب، مُنسَلخين عن هُويّتهم، مُتأثّرين في ذلك بعوامل عديدة أبرزها دراستهم في المدارس الأجنبيَّة. وتنزعج (نورة) من أسلوب حياة أبناء أختها الذين تربّوا منذ صغرهم على المبادئ الغربيّة وانفصلوا عن مجتمعهم، فتقول (نورة) وهي تصفُ إشكاليّتهم: "هل تعلمين ما شعرتُ به عندما رأيت أبناء أختي؟ شعرتُ أنّهم أشجار بريّة نمت هكذا دون تشذيب. إنّ الأشجار البريّة تنمو دون عناية البشر، وتنمو أفرعها في أيّ اتجاه" (خليفة، 2010).

إنّ التغريب يُفضي إلى حالةٍ مُعقّدة من الاغتراب داخل الوطن، فهما وجهان لعُملة واحدة. وقد عالجت الرواية العربية بوجهٍ عام والقطريَّة بوجه خاص هذه العلاقة المُعقّدة بحرص، ذلك أنّ روح الروايةِ كما يقول ميلان كونيدرا "هي روحُ التّعقيد. فكُل رواية تقولُ للقارِئ: إنَّ الأشياءَ أكثرُ تعقيدًا مِمّا تَظن" (كونديرا، 1999).

العدد السابع والثلاثون
تاريخ الإصدار: 2 – تشرين الثاني – 2021 م
www.ajsp.net
ISSN: 2663-5798

يقولُ أحد المُتغرّبين المُتحسّرين على زوال أصالة مدينته في رواية (فازع شهيد الإصلاح) بعد تغلغل مظاهر التغريب فيها: "عُري، وحركات خدش الحياء، يتراقصون في الحدائق ويصدحون بالموسيقى الغربية بينما ينطلق أذان الصبح. الجميعُ يشعر بغصّة وحزن.. ويبكي منطقةً لا يعرف غيرها. يبكون الرمال التي تربّوا عليها" (عبد الملك، 2009) ثم يستفيضُ في التّحسر ويقول في ختام حديثه المُؤلم: "المشاريع للأجنبي، والامتيازات، والرواتب المرتفعة للأجنبي. نعاني من الغلاء ونعاني من التغريب، فنحن غرباء في وطننا"(عبد الملك، 2009). وكأنّه يؤكّدُ ما قاله فرانز فانون في خطاب استقالته: "عليّ أن أؤكّد أنّ العربيّ غريبٌ بشكلٍ دائمٍ في بلاده.. إنّه يعيشُ حالةً من الاغتراب المُطلق" (عاشور، 2019). وفي رواية (انكسار)، تصف إحدى الفتيات المُشاركات في موقع (ندى) الإلكتروني حالة الاغتراب التي سَيطرت عليها نتيجةَ التّغريب الذي تُعاني منه في مُجتمعها، فتقولُ: "أنا نشأت في حُضن الشّغّالة، ثم انتقلت إلى المدارس الأجنبية، لا أعرفُ شيئًا عن تاريخي، ولا تاريخَ المنطقةِ وتراثها، كون الدّراسة كلّها بالإنجليزيَّة. وبيوتنا يحكمها ويُديرها الأجانب، ولهذا توسّعت مساحات الغربة في حياتي" (عبد الملك، 2019). فضياع التُراث والتّاريخ واللغة سيُؤدّي حتمًا إلى تشظّي الهُويّة واغتراب الإنسان.

وتُمثِّلُ (سلوى) في رواية (العريضة) حالة الاغترابِ وما ينجمُ عنها من أزمة هُويَّة حادّة، فقد كانت (سلوى) مُمزَّقة إلى نصفين. وتشعرُ أنَّها مُعاقَبَة وعاجزة عن التصالح مع مجتمعها على الدّوام؛ لأنَّها ابنة الثقافة الخليجيّة العربيّة الأصيلة، ولكنّها في الوقت ذاته نتاج التربية على القيم الأجنبيَّة، وخريجة المدارس والكليَّات الأجنبية، وعند حديثها تتزاحمُ اللغتان على لسانها ولا تدري بأيّهما تُعبّر عن نفسها. فلقد خالطت الغربيين "مبكرًا مُنذ نعومة أظافرها منذ أن كانت في مستوى Nursery ثم انتظمت في دورات لغات وتثقيف غربيّة طوال حياتها في بريطانيا ثم في أمريكا، وتعرف مقدار (اختلافهم) عن الوسط الذي تعيشه وتنتمي إليه" (آل سعد، 2011)، وكأنّها تُعبّر في حالتها عن قول محمود دّرويش في إدوارد سعيد:

"أنا مِنْ هُناكَ.. أَنَا مِنْ هُنَا..

ولستُ هُنَاك، ولستُ هُنا

لِيَ اسمانِ يَلتقيانِ ويَفترِقَان

ولي لُغتَان، نسيتُ بأيّهما

كُنتُ أَحْلُمُ.."

وكانت (سلوى) تُؤمن "أنّ ما يحدث في الخليج ليس تحديثًا، بل إنّه عملٌ اعتباطي، لم يقم بفرز ثقافي وتفكيكي للأوعية التقليدية ولم يستدعِ الماضي أصلا، بل قام بتخريب المكتسبَات بشكل أربك الحاضر وشلّ حركته. ويخلصُ إلى أنّ ما يجري من تحديثٍ سطحيّ فوقي ماديّ، لن يُؤدي مُجدداً إلا إلى انزلاق أشدّ وأكثر مجانيّة وتدميرًا للهُوية" (آل سعد،2011) فالواقعُ كما يقولُ (مَيهود) في رواية (أحضان المنافي) أنّ "المنطقة كلها تمرّ بحالة حرجة تحت رحمة الأمريكان لفترة طويلة" (عبد الملك، 2005)، وعندما ردّ عليه صديقُه أنّ الرّحمةَ بيد الله وحدَه، قال: "ونعم بالله! ولكن ألا ترى هذا التّدخل اللا محدود في حياتنا وقيمنا؟ هل لك أن تُخبرني ماذا يأكل أولادك؟

العدد السابع والثلاثون
تاريخ الإصدار: 2 – تشرين الثاني – 2021 م
www.ajsp.net
ISSN: 2663-5798

ماذا يلبسون؟ ماذا يُشاهدون؟ ماذا يقرؤون؟ إنَّها الثقافةُ الليبراليّة التي بشّرت بها كوندااليزا رايس وتحدّت بِهَا العَالَم الإسلاميّ بقولها: سنفرض الأفكار الليبراليّة الأمريكيّة وإن تعارضت مع الإسلام" (عبد الملك، 2005).

فالكولونياليَّة الغربيَّة تُسَيطِرُ على البلاد العربيَّة والإسلاميَّة، وتُدير دفَّةَ الأمورِ كما تشاء، مُباشرَةً أو من وراءِ ستار. فلاشكّ "أنّ الخصوم الذين يتنافسون للاستيلاء على عناصر القُوّة، سيَلجَؤون إلى سِلَاح الأَفْكَار حَيْثُ إنَّ قَنَابِلهم الذريَّة أَصْبَحَت عَاجِزَة في هذا العصر" (ابن نبي، 1986). ولذا فقد سار الحُكمُ في العالم العربي والإسلاميّ إلى الاتّجاهات التي يُؤيّدها المُستعمِرُ وجمهرَةُ المُثقّفين والتّابعين الذين تأثّروا به، والمُتمثِّلة في الليبراليَّة والرَأسماليّة الغربيّة. إذ اعتقدوا أنّ هذه الأنظمة الجديدة تحملُ معاني التطور، وكثيراً ما نجدُ التغريب يستتر وراء تلك المعاني، ويُغلّف بغلاف ناعم يُدعى وحدةُ الثقافة العالميَّة، فيطلق على التغريب الدعوة إلى التمدين أو التحضّر للأمم المتخلّفة، ولكنّ الهَدف الكامن في أعماق هذه الدعوة بمُختلف مُسميّاتها هو سَوْقُ النّاس إلى الولاء والعبوديّة لسيادة الفكر الغربيّ وإحلال قيَمِه ومفاهيمه محلّ القيمِ الفكرية الثقافيَّة التي يَدين بها الشرق، وهي قيمٌ ومفاهيمُ مُختلفةٌ اختلافًا جوهريًّا عن قيَمِ الفكر الغربيّ ومفاهيمه (الجندي، 1960).

ومن أجلِ هذا كلّه، فإنّ روح الغرب المُخيّمة على مجمل العصر "تعني إنهاء عصر الملحميّة والتراجيديا البطوليّة والحماسة والنخبويّة، أي كل القيم التي مجّدت الحياة وكرّمت وجود الفرد في القرون الجاهلية وبعد ظهور الإسلام، وحتّى لحظة وقوف بونابارت على أبواب مصر القرن التاسع عشر فهول أوّل من أعلنَ قرع طبول العولمة" (آل سعد، 2011). فالعَولمة تسير باتّجاه واحد (من الغرب إلى الشرق) ولَيس العكس، ولذا فهي ظاهرة تغريبيّة فِي المَقام الأوّل، وقد أسهمت في اندثار عصر البطولات العربيَّة، وضياع القيم الأصيلة التي لطالما تغنّى بها العربيّ الأصيل. فتسعى العولمة إلى صبغ أيّ مجتمع أو فرد بصبغة غريبة عنه، وإشاعة نمط حياة واحد يُهيمنُ على بقيَّة الأنماط في شتّى مجالات الحياة وشتى بقاع العالم (المسيري، 2009)، وهذا هو جوهرُ التّغريب القائمِ على وَأد القيم الأصيلة وإلغاء الخصوصيّة، بحُجّة وجود أنموذج واحد متفوّق فقَط، تُعبّر عنه القوة ذات الحضور المُهيمن، و"تتمثّل في الوقت الراهن بالأنموذج الأمريكي سياسيًا وثقافيًا واجتماعيًا، ولعلّ هذا ما أسماه ريموند وليامزالنّهج الطبعي المُسيطر أو الحُلْم الأمريكيّ كما يصفه البعض. مما يعني نقل النّماذج الأُخرى –غير المُهيمنةِ– من متن التجربة الإنسانيَّة إلى هامشها، تمهيدًا لمحوها نهائيًّا. وعلى النماذج المُغايرة للنموذج الأمريكي أن تحذو حذوه وتصبح جزءًا منه؛ لتضمن لنفسها الاستمرار، أو يُمكنُ لتلك النماذج أن تتقوقع ضمن شرنقة الذّات، وفي كلتا الحالتين تكونُ أمامَ شكلٍ من أشكالِ الانتحارِ. فنظام العَولمة شبيه بنظام آلة التّصوير النّاسخة إذ يُصبح أفراد المجتمعات نُسَخًا (فوتوكوبي) طبق الأصل من الفرد الأمريكي" (خليل، 2018).

وتَتنبّه (الدكتورة مُنيرة) الشخصيَّة المُثقّفةُ في رواية (العريضة) إلى هذه المَسألة فتقولُ في حوارٍ جمعها بزميلها (الدكتور جابر): "نحنُ نماذج فريدة ومستقلّة بذاتها، لا تخضعُ مثل غيرها لنظريّات وأسس فلسفيّة غربيّة! فلهذه المنطقة قوانينها وسُننها الخاصَّة ومنطقها الخاص!" (آل سعد، 2011). ولهذا فقد كان هدفُ التّغريب هو زعزعةُ تلك النّماذج الفريدة والثّقافات الأصيلة بإقحام العناصر الغريبة عليها، لتحويلها عن طبيعتها ووِجهتها على نحوٍ يقضي على تميّزها.

وفي الختام، تطرح (هُدى) في رواية (العريضة) تساؤلًا مُؤرّقًا حول هذا التّصادم بين الشّرق والغرب، الذي يجنحُ فيه الغرب إلى فرْض نفسه بصبغ الشّرق بلونه وتطبيعه بأطباعه، فهل "سيبقى الشرقُ شرقًا والغرب غربًا؟ ألن نتمكّن من أن نُصْبِحَ شركاء في الإنسانيَّة؟"، وتُجيب نفسَها قائلةً: "يُخيَّل إليّ أَنَّهُ أمرٌ يزدادُ بعدًا واستحالة، نظراً لحجم القوى وغلبة مصالحها. سأوافق على الدفاع نظرياً على الأقل

العدد السابع والثلاثون
تاريخ الإصدار: 2 – تشرين الثاني – 2021 م
www.ajsp.net
ISSN: 2663-5798

عن المفهوم الداعي إلى إنسانيَّة مُوحّدة ذات ثقافات مُتجانسة إلى حدٍ ما، وأعلمُ بأنَّ الطَرَف الأَقْوَى سَوف يسعى إلى جَعْلِها مُوحّدَةً لكي يقوم بالاسْتِحوَاذ عليهَا كُليَّة" (آل سعد، 2011). والطرفُ الأقوى في حديثِها هو الغربيّ الكُولونياليّ؛ فالظاهرةُ الكولونياليَّة بذاتها هي تعبيرٌ عن درجةٍ من الإدراك للثقافة الذاتيَّة، وللثقافة المُضادّة لها التي تجبُ مُحاربتها. وكذلك الظاهرة الاستقلاليَّة هي تعبيرٌ عن درجةٍ عليا من الإدراك الذّاتيّ الثقافيّ تُرجمت بحمْل السّلاح، أو بالنّضال السّياسيّ من أجل التحرّر. وقد أدركَ الغربُ هذا، ومن ثمَّ راهن على أنّه لا بقاء له دون بقاء سيطرته ثقافيًا بواسطة التَّغريب، فهو الذي يضمنُ له بقيَّةَ أنواع السيطرة.

ومع وجود الطّرف الأقوى المُتمثّل بالمُستعمِر، لا مناصَ من أن يستشعرَ المستعمَر نوعاً من الإحساس بالدّونيَّة إذا ما قارن واقعه المعاصر بواقع الأُمم الغالبة التي تفرض ثقافتها على العالم أجمع، ولكنّ هذا الإحساس وهذه الهزيمة النّفسية تُمثّل هدفًا مقصودًا وغاية منشودة يسعى المُستعمِر إلى زرعها وتعزيزها في المُجتمع، فهذه الهزيمة تبثّ روح اليأس، وتُخمِد روح المُقاومة، وتؤدّي إلى الانكفاء على الذّات، وعليه، فإننا نَأمل كما ظلّت (سلوى) في رواية (العريضة) "تأمل بتحرّر الفرد في المجتمع وقدرته على امتلاك إرادته المُستقلة وتحديد خياراته من خلال وعي تام في مناخ حرّ" (آل سعد، 2011) والخطوةُ الأولى لتحرّر الفرد وامتلاكه الإرادة المُستقلّة في ظلّ الهيمنة الكولونياليَّة هي الوعي بأساليبها وصُورها وأشكالها المُتعدّدة، وفي غرّتها التّغريب وما يعكسه من اغتراب على النّفس البشريَّة.

- **خاتمة البحث ونتائجه:**

أَفضى البحث إلى الوقوف على جُملَةٍ من النّتائج التي يُمكن إجمالُها على النَّحو الآتي:

- إنّ الأيديولوجيّة الكولونياليَّة مُؤثّرة للغاية؛ لأنّها مدعومَةٌ بوسائلَ وأدواتٍ تؤثر في الطّريقة أو الصّورة التي ننظر بها إلى أنفسنا والآخرين. كما أنّ الكولونياليَّة غيرُ مرتبطةٍ بشكل معين أو بأداة معينة أو ببقعةٍ جغرافيَّة مُعيّنة، وغيرُ قابلَةٍ للتَّحديد الزّمنيّ؛ لأنَّها عمليَّة مُستمرّة، طالما أنّ هُناك قُوى وثقافةً مُعيّنةً تسعى إلى فرْض هيمَنتِها على الثّقافات الأُخرى.
- تَعدّدُ أشكالِ الكولونياليَّة وأساليبِها وتحوّلها من الاستعمار التقليدي، إلى الاستعمار الناعم الجديد الذي لا يتمّ دون أن يشعر به المُستعمَر عادةً والمتمثل بالتّغريب كما يظهر في الرواية القطريّة، مِمّا يؤكّدُ أنّ الاستعمار يُغيّر جلده ويتحوّلُ عن أساليبه الصّريحة إلى أساليبَ أشدَّ خفاءً وتأثيرًا لضمانِ تحقيق أهدافه وصون سيادته وهيمنته.
- التّأكيد على أنّ التّغريبَ استعمار خفي يتغلغل في المُجتمع دون إدراك معظم أفراده، فيسود الاحتذاءَ بالغرب والتطبّعَ بأطباعه واستِعَارةَ ثقافَته في الكثير من مظاهر الحياة كما عبّرت الرواية القطريّة عن ذلك. ومِن أشكال التّغريب التي عبّرت عنها الروايةُ القطريَّة: تغريب التّعليم والثقافة والمُعتقَد، والتّغريبُ اللغويّ، وتغريبُ الهُويَّة.
- إنَّ جوهرَ التّغريب هو حملُ الذات على قَبول عقليَّة الآخر ومبادئه إلى جانب تبنّيها، مع ما يترتب عليه من تلاشي قيمِ المُجتمع، مما ينعكسُ على تفاصيلِ الحياة الاجتماعيَّة والثقافيَّة والعادات اليوميَّة، وعلى تنشئة الأجيال الجديدة.

قائِمَةُ المصادر والمراجع:

ابن خلدون، ع، د.ت، مقدمة ابن خلدون، تحقيق علي عبد الواحد وافي، ط3، القاهرة، مصر. دار نهضة مصر.

ابن نبي، م، 1986، شروط النهضة، ترجمة: عبد الصبور شاهين، د.ط، دمشق، سوريا، دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر.

أشكروفيت، ب، 2010، دراسات ما بعد الكولونيالية المفاهيم الرئيسية، ترجمة: أحمد الروبي، أيمن حلمي، عاطف عثمان، ط1، القاهرة، مصر، المركز القومي للترجمة.

آل سعد، م، 2007، تداعي الفصول (سارة وسلطان)، ط1، الدوحة، قطر، مطابع رينودا الحديثة.

آل سعد، ن، 2011، العريضة، ط1، بيروت، المؤسسة العربيّة للدراسات والنشر.

أيزابرجر، أ، 2003، النقد الثقافي تمهيد مبدئي للمفاهيم الرئيسية، ترجمة: وفاء إبراهيم، رمضان بسطاويسي، ط1، القاهرة، مصر، المجلسُ الأعلى للثقافة.

بركات، ح، 2006، الاغتراب في الثقافة العربية متاهات الإنسان بين الحلم والواقع، ط1، بيروت، لبنان، مركز دراسات الوحدة العربية.

الجابري، م، 1998، العولمة والهوية الثقافية: عشر أطروحَات، ط2، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربيّة.

الجندي، أ، 1960، الإسلام والثقافة العربيّة في مواجهة تحديات الاستعمار وشبهات التغريب، د.ط، القاهرة، مصر، مطبعة الرسالة.

حسين، م، 1993، الإسلام والحضارة الغربيّة، ط9، بيروت، لبنان، دار الرسالة.

خليفة، د، 2010، أشجارُ البراري البعيدة، ط2، بيروت، لبنان، مكتبة حسن العصريّة.

روسو، ج، 2012، العقد الاجتماعي، ترجمة: عادل زعيتر، د.ط، مصر، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة.

سليم، م، 2016، انسجام الخطاب ونكوص إعادة الهيمنة جدل الذات والنسق في الرواية القطرية، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعيّة – مجلّة الكويت، 37، 29.

عاشور، ر، 2019، لكلّ المقهورين أجنحة، ط1، القاهرة، مصر، دار الشروق.

عبد الملك، أ، 2005، أحضانُ المنافي، د.ط، بيروت، لبنان، دار بلال.

عبد الملك، أ، 2006، القنبلة، ط1، بيروت، لبنان، المؤسسة العربيّة للدراسات والنّشر.

عبد الملك، أ، 2009، فازع شهيد الإصلاحِ في الخليج، ط1، بيروت، لبنان، مؤسّسة الرحاب الحديثة.

عبد الملك، أ، 2011، الأقنعة، ط1، بيروت، لبنان، مؤسسة الرحاب الحديثة.

عبد الملك، أ، 2018، مَيْهُود والجنيَّة، ط1، قطر، دار لوسيل للنشر والتّوزيع.

عبد الملك، أ، 2019، انكسار، ط1، الكويت، دار بلاتينيوم للنشر والتّوزيع.

القرضاوي، ي، 1988، الحلول المستوردة وكيف جنت على أمتنا، ط14، بيروت، مؤسّسة الرسالة.

لويس، ب، 2006، الغرب والشرق الأوسط، ترجمة: نبيل صبحي، د.ط، مصر، ميريت للطباعة والنشر.

مجمع اللغة العربيّة، 2010، المعجم الوسيط، ط5 منقحة، مصر، مكتبة الشروق الدوليّة،

المسيري، ع، 2009، حوارات الدكتور المسيري العلمانية والحداثة والعولمة، تحرير: سوزان حرفي، د.ط، دمشق، سوريا، دار الفكر.

منيف، ع، 2007، إعادة رسم الخرائط، ط1، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر والمركز الثقافي العربي للنشر.

موسى، س، 2017، اليوم والغدّ، المملكة المُتحدة، مؤسسة هنداوي سي آي سي.

هالبيرن، ك، 2015، الهوية(ات)ة الفرد الجماعة المجتمع، ترجمة: إبراهيم صحراوي، ط1، الجزائر، دار التنوير.

كونديرا، م، 1999، فن الرواية، ترجمة: بدر الدين عرودكي، ط1، دمشق، سوريا، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع.

سعيد، إ، 2005، المُثقف والسُلطة، ترجمة: محمد عناني، دار رؤية للنشر، د.ط، القاهرة، مصر.

أدونيس، 2010، الحوارات الكاملة، تحرير: أسامة إسبر، ط2، دمشق، سوريا، بدايات للنشر والتوزيع.

Abstract:

This research seeks to study the Arabic novel from a new critical perspective, which is a post-colonial perspective, specifically through the issue of alienation and westernization, which are a direct result of colonial domination, and which represent a more dangerous cultural and intellectual colonialism than traditional colonialism. It investigates the detection of the different aspects of colonialism and its effects on colonial cultures, relying on the post-colonial approach, which relies on interdisciplinary approaches, and is characterized by its comprehensiveness and its ability to study various literary texts. The research concluded with several results, the most important ones are revealing the hidden colonial ideology that is supported by tools that affect the image in which we view ourselves and others. Also exposing the multiplicity of forms and methods of colonialism and its transformation from traditional colonialism to the new soft colonialism that takes place without the colonizer usually realizing it, which is represented by westernization, as it appears through the Qatari novel, this leads to imitating the West, and borrowing its culture in many aspects of life, thus it leads to the emergence of various forms of alienation and westernization such as westernization of education, culture and belief, Westernization of language, and Westernization of identity.

Keywords: Post-colonialism, Cultural criticism, Alientation, Westernization, Cultural colonialism.